

الرؤيا في رواية الخيال العلمي "رواية في كوكب شبيه بالأرض أنموذجاً"

د. سمر الديوب

أستاذة مساعدة

جامعة البعث ، حمص سورية

ملخص

ينظر البحث إلى أدب الخيال العلمي على أنه حال حلم مبنية على أسس علمية، فهو يؤسس نوعاً أدبياً مختلفاً، ويعد أدب الخيال العلمي أدب الرؤيا بامتياز، ويستخدم لتحقيق بعده الرؤياوي العجائبي وسيلةً. يهدف هذا البحث إلى دراسة البعد الرؤياوي في رواية "في كوكب شبيه بالأرض" انطلاقاً من شعرية العجائبي، وجدلية الواقع والحلم، ووظائف الرؤيا، وشعريتها، كما يدرس خصوصية النوع الأدبي في الرواية.

Vision in Science Fiction Novel: The Novel On a Planet Akin to Earth as an Example

Abstract

This research views science fiction as a case of a dream based on scientific foundation, as it establishes a different literary genre. It also regards science fiction as a vision literature in every way, and uses fantasia as a means to achieve its visionary dimension.

This research aims at studying the visionary dimension in a novel, On a Planet Akin to Earth, starting from the poetics of fantasia, the

dialectic of reality and dream, and the functions of vision and to poetics. It also examines the idiosyncrasy of this literary genre in this novel.



1- مقدمة

يعد أدب الخيال العلمي لدى الروائيين العرب أدباً ناشئاً، وقد تناول النقاد العرب الرواية من زوايا مختلفة، لكن لم تلتفت أقلامهم كثيراً إلى رواية الخيال العلمي بوصفها تحمل خصوصية الجمع بين الخطابين العلمي والأدبي، وهما خطابان متضادان، فرواية الخيال العلمي تقدم الفكرة العلمية في طابع خيالي يغدو مقبولاً لدى المتلقي.

وتحاول هذه الدراسة أن تقيد من جهود النقاد المحدثين العرب والغربيين في دراسة الرواية، وأن تطبقها على رواية في كوكب شبيه بالأرض بهدف الوصول إلى وظيفة الحلم في بناء الرواية، وعلاقته بالبعد الرؤياوي، انطلاقاً من فكرة أن أدب الخيال العلمي أدب الرؤيا بامتياز.

2- أهمية البحث وأهدافه

لم يأخذ أدب الخيال العلمي حقه في الدراسات النقدية الأكاديمية؛ لذا يهدف هذا البحث إلى التفصيل في علاقة الحلم بالرؤيا في هذه الرواية، وتحديد وظائف الحلم، والحديث عن البعد العجائبي في الحلم، وعلاقته بثنائية الرؤية/ الرؤيا، والبحث في شعرية خطاب الحلم/ الرؤيا في الرواية. وإذا كانت النصوص السردية تقدم الرؤية، ويتم استبطان الرؤيا في النسق المضمر فإن رواية الخيال العلمي رواية رؤياوية بامتياز. فتهدف الدراسة إلى تحديد موقع الروائي، وعلاقته بما يروي، واستبطان أبعاد الرؤيا، ووظائفها في بناء الرواية.

3- منهجية البحث

يدخل هذا البحث في حقل الدراسات السردية. وهو من الحقول التي لم تستقر بعد على الرغم من وجود جهاز نظري ومفهومي على جانب كبير من الأهمية.

ولا تقيّد هذه الدراسة نفسها بمنهج محدد؛ لأن تبني أحد المناهج يعني إقصاء ما سواه. ولعل هذا الموقف المنهجي يتفق مع انفتاح الخطاب النقدي الحديث على مفاهيم كثيرة تتآلف في إطاره بقصد معالجة الأثر المدروس من شتى زواياه. ومع ذلك يفضل البحث الميل إلى المنهج التأويلي؛ ذلك لأن المناهج جميعها تفضي إلى التأويل في النهاية.

4- مصطلح الرؤيا وعلاقته بأدب الخيال العلمي

يعد مصطلح الرؤيا المصطلح المضاد لمصطلح الرؤية، وقد وردت الرؤية معجماً بمعنى الرؤية البصرية حين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم حين تتعدى إلى مفعولين "ابن منظور. 1994: مادة رأى" فلا تعني الرؤية البصرية، بل تمتد؛ لتتصل بالفكر، والفطنة، وتستوعب الرؤية في النص الأدبي هذه المعاني جميعها. فالرؤية في الأدب رؤى، فقد تكون رؤية بصرية، وصفاً لواقع وحديثاً عن ظواهره، ورؤية قلبية حين تترافق بحديث عن موقف المبدع، وتصورات إزاء واقعه.

أما الرؤيا فتشير إلى المتخيل، والمأورائي "ابن منظور. 1994: مادة رأى، وقد فرقت المعاجم بين الرؤيا والحلم والمنام، فقال ابن منظور: إن الحلم ما يراه النائم في نومه، والمنام والمنامة: موضع النوم، وفي التنزيل العزيز: "إذ يريكهم الله في منامك قليلاً" وقيل هو هنا العين؛ لأن النوم هناك يكون، وأثر عن النبي الكريم قوله: الرؤيا من الله والحلم من الشيطان. وقد وجدنا

أنها مترادفات تشير إلى ما يراه النائم في نومه، وقد آثرنا مصطلح الحلم في حديثنا عن رواية الخيال العلمي؛ لأنه يحيل على الرؤيا مباشرة، وثمة منام على شكل كابوس في الرواية مقترن بشائبة الرؤية/ الرؤيا. والرؤيا التي نهتم بها تعني المصطلح الذي يهتم بالنسق المضمّر في النص الأدبي، وبما وراء السطور. فالنص الأدبي يحمل نظرة ذات بعد فلسفي، وتبصراً بمصير الإنسان.

وتعني الرؤيا تجاوز الواقع إلى المتخيل، وتسهم - في النص الأدبي - في تقديم الموقف الفكري للمبدع حين تتضمن إدراك علاقات الواقع، والصورة التي ينبغي أن تسود تلك العلاقات في المستقبل "للتوسع في مصطلح الرؤيا انظر: بدر، ع. 1985: 18، عياد، ش. 1978: 4، عساف، ع. 1996: 165"

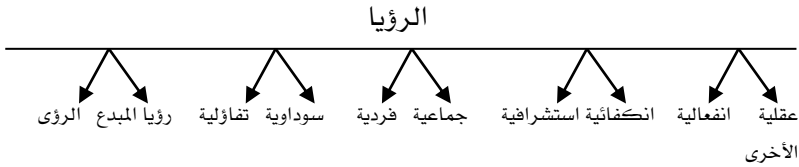
إن لكل مبدع موقفاً من الحياة، وحين يقدم رؤيته الواقع فإنما يقدم الرؤيا البديلة منها في النسق المضمّر. ولأن الرؤيا تجربة مع الواقع، واستشراف للمستقبل من خلال الذات المبدعة نرى أن لا رؤيا من غير رؤية. فإن لم تتجه الرؤيا إلى تجاوز الواقع إلى المستقبل، أو الانكفاء إلى الخلف ظلت محكومة بأنها رؤية. ويتعين على ذلك أن الرؤيا ترتبط بالواقع، وتتجاوزه في الآن نفسه. فهي تصحيح سلبي للواقع، يضيفي المبدع بها على الحياة ما هو غير موجود فيها حين يفسر الماضي، أو يشكل المستقبل. وإذا كانت الرؤيا محملة بالبعد الفكري فثمة فرق بين أدب يعبر عن فكر، وفكر يتمثل أدبياً.

إن الرؤيا عملية تخيلية، تكشف الأشياء، وتمنحها وجودها، وتقدم زوايا من الواقع مترافقة بأبعاد نفسية للمبدع. لكنها ليست وحيدة، بل ثمة علاقة جدلية بين الرؤى. فثمة رؤيا، ورؤيا تدخل في علاقة تضاد مع رؤى الآخرين، فيما أن تقترب منها، أو تتصادم معها. وثمة رؤيا تستشرف المستقبل، ورؤيا

تتكفى إلى الماضي. وهي ليست هروباً، بل هي نوع من البحث عن توازن يفقده المبدع في واقعه، تحضر في النسق المضمر؛ لتكوين رؤية متماسكة للكون.

كما أن ثمة فرقاً بين الرؤيا الفردية التي تمثل أحلام فرد، أو فئة معينة، والرؤيا الاجتماعية التي تمثل تطلعات مجتمع بأكمله. وبقدر ما يكون تبصر المبدع عميقاً تكون الرؤية واعية.

ويمكن - بناء على ما سبق - أن نقدم تعريفاً موجزاً للرؤيا كما يأتي:



والرؤيا في أدب الخيال العلمي رؤيا تنبؤية - غالباً - فتكشف الرؤية علاقة الروائي بالواقع، وتشير الرؤيا إلى رغبته في تجاوزه إلى مستقبل أفضل. وتمثل الرؤيا فكراً مثالياً، فهي تكشف؛ لتتجاوز " يرى أدونيس في الرؤيا حال انفصال عن المحسوسات، حال حلم. انظر: أدونيس. 2002: ج4/ص166 ونرى أن الحلم وليد الواقع، مرتبط به بصيغة ما، بل إنه واقعي أكثر من الواقع نفسه. يرى فيجانت "Vigant" أن الحلم لا يبتعد بنا عن الواقع بل هو خلاف ذلك يعود بنا ونحن نيام إلى ما ابتعدنا عنه من شواغل اليقظة. انظر: فرويد، س. 1963: 115"

ولأن الرؤيا ذات بعد حلمي، ولأن الحلم يحمل إشارات تنبؤية نجد أن لها علاقة وثيقة بأدب الخيال العلمي. ويمكن أن ننظر إلى أدب الخيال العلمي على أنه أدب الرؤيا بامتياز. ويعني البعد الرؤيائي فيه أن خطاب الخيال العلمي من صميم الواقع، وأن المبدع يشكل رؤيته في النسق الظاهر؛

ليقدم الرؤيا في نسقه المضمّر، فخطاب الخيال العلمي على علاقة وثيقة بالواقع والطموح، تظهر الرؤيا غوصه في أعماق الواقع، وفهمه الخاص له. وتساعدنا الرؤيا على الكشف عن النسق المضمّر، وهو أهم مما يبدو على مستوى الرؤية. ويتعين على ذلك أن أدب الخيال العلمي حكاية سردية تحمل رؤيا معينة تعريّ الواقع، "فالكثابة الفنية رؤيا تجسدت بصورة وإيقاع" "عساف، س. 1991: ص133"

وثمة فرق بين الرؤيا التي يقصد بها الكرامات، والنام، أو حال الحلم. وقد تحدث القدماء عن ماهية النوم، وحقيقته، كما تحدثوا عن البعد الرؤياوي في خطاب المنام "لدى إخوان الصفا لا بد أن يكون للنام امتداد زمني، ورسالة قد تكون خيرة، وقد تكون شريرة. فبالمنامات معرفة الإنذارات والبشارات. انظر: إخوان الصفا. 2011: ج3/ 246" ووجدوا أن المنامات لا تراعي قواعد المنطق، والزمان، والمكان. وسنعمد على مصطلح الحلم حين نتحدث عن حلم اليقظة، والنام حين نتحدث عما حدث في أثناء النوم.

وكما أن ثمة فرقاً بين الرؤيا/ الكرامة الصوفية، والنام ثمة فرق بين المنام، وحلم اليقظة. فإذا كان المنام يريح الجسد فإن حلم اليقظة يريح النفس حين تستجيب الأفكار، والأحاسيس في المقام الأول لما يُطلب منها في المنام، وهو مكان لعالم الحرية "باشلار، غ. 1990: 87" فثمة تبادل بين النوم، واليقظة. وهو في الأحوال كلها حركة في فضاء، تتحرك شخصياته في مشهد يخرق المألوف، ويشتمل على سلسلة أنساق ثقافية، واجتماعية، وسياسية. لكن هذا التحرك في فضاء له زمانه، ومكانه، لا ينفصل عن الواقع الاجتماعي، بل يولد منه؛ لذا نرى أن خطاب المنام، أو الحلم يلح على وجود أزمة في الواقع، يكون الخلاص منها باستشراق رؤياوي قد يمتد إلى

المستقبل، وقد ينكفي إلى الخلف. فلا يهم المنام بقدر ما تهم معرفة المنام؛ أي البعد الرؤياوي فيه.

ولغة الأحلام لغة مجازية تمتح من الأنساق الثقافية. لكن ثمة فرقاً بين المنام، والرمز. فللمنام علاقة بالنائم/ الذات، وعلاقة بالآخر. ولا علاقة له بالرمز؛ إذ يفيد الرمز في دراسة الأسطورة بوصفها حلم شعب "برنس، ج. 2003: 25" فثمة تأويل للمنام، وثمة رمز. وإذا نظرنا إلى المنام من منظار البعد الرمزي ألغينا البعد الرؤياوي المرتبط بالذات الحاملة، والذات المؤولة "فرويد، س. 1982: 73، يرى أننا نخطئ إذا تصورنا "كذا" يوم إذا تعمقت معرفتنا بعلم رموز الأحلام "مفاتيح الأحلام" أن نستغني عن استجواب النائم عن أفكاره في حال اليقظة. "فالمنامات ليست نصوصاً رمزية مشبعة بالدلالات بل إن المنام على علاقة بالمبدع الذي أنتجه، والمتلقي الذي يقع على عاتقه مهمة التأويل، لكن لغته مجازية، رامزة.

إننا ننظر إلى رواية الخيال العلمي على أنها حال حلم، وقد انضوت رواية "في كوكب شبيه بالأرض" عمران، ط. 2004" على حال حلم إضافة إلى وجود منام/ كابوس شكّل بؤرة نصية أساسية في بناء الرواية، وطيف خيال/ حلم يقظة حمل بعداً رؤياوياً واضحاً. "يعد طالب عمران رائد أدب الخيال العلمي في سورية، وهو أستاذ جامعي، يحمل شهادة دكتوراه في الفلك، له العديد من روايات الخيال العلمي. وقد أثرت دراسته في نوعية ما يكتب، فقد جمع بين الخطابين العلمي والأدبي في رواياته، وجميعها تدور حول الخيال العلمي، ونزعتي الخير والشر، والرؤيا المتعلقة بمستقبل أفضل."

5- تقديم الرواية

تدور أحداث الرواية في كوكب يشبه كوكب الأرض، ويبعد عنه ملايين الكيلومترات، "تندرج هذه الرواية في ما يعرف في أدب الخيال العلمي بالأوبرا

الفضائية Space Opera فحدودها الكون الذي تتحرك فيه الشخصيات " فقد حطت سفينة فضاء قادمة من الأرض على سطحه، وأعطت الأجهزة إشارة إلى رائد الفضاء على وجود حياة عاقلة على الكوكب، ولكن سكان الكوكب ظهروا متطورين علمياً "غاتينيو، ج. 1990: 121، يرى أن الكائنات غير الأرضية في رواية الخيال العلمي تمتلك دائماً قدرة تفوق قدرة البشر، لكن هذا التفوق لا يصل إلى الدرجة التي يقضي فيها على الإنسانية" فقد عرفوا رائد الفضاء، واكتشفوا نواياه، وأرسلوا مندوبة من قبلهم " من الملاحظ أن الشخصيات الفضائية ليس لها أسماء، وتخاطب رائد الفضاء بلغته. " تعرّفه بالكوكب الجديد، فعرفته بالمدينة العلمية، وحدثته عن قمر الحب الذي يزوره العشاق الصادقون. فالعاشقان "حين ينويان الصعود إليه يجب على كل منهما أن يكون متأكداً من أنه يحب فعلاً قرينه، وإلا فإن الكوكب يصبح لعنة عليه.. لا يرى فيه سوى الأحوال والمتاعب والمناظر المرعبة المخيفة." "الرواية، ص14"

كما حدثته عن طبيعة الحياة على الكوكب، فهي حياة خالية من المنغصات " من أهم الركائز التي يقوم عليها أدب الخيال العلمي الموازنة بين طبائع الكائنات الفضائية والبشر، وتبدو طبائع الشخصيات في هذه الرواية سلمية، محبة، عادلة، لا توجد لديها نية سيئة تجاه البشر. وتتيح هذه الرواية تبين موقف الكاتب من الكائنات الفضائية، فهو موقف يتسم بإقامة سلام كوني مع هذه الكائنات. " ، يأخذ المرء حقه كاملاً إن كان عنصراً فاعلاً، وإلا عاش منسياً من غير قيمة. وقد استطاعوا من زمن طويل التغلب على الأشرار الذين انفردوا بثروة الكوكب، واستعبدوا أبناءه بثورة هائلة، فأصبح مجتمعهم قائماً على المحبة، وإكمال بعضهم بعضاً وكل شخص في ميدان عمله واختصاصه. "نحن نطور حياتنا معتمدين على القدرة الذهنية

الخلاقة.. الحاسوب لا يستطيع أن يخلق الحياة في كائن خامل مهما وصل
تطور برمجته" "الرواية ص22"

لقد استطاعوا ترويض الحيوانات الأكثر غدراً، وأضحت غريزة العدوان
شبه معدومة، لا يعرفون الفشل أو الحزن، ولا يعرفون وقتاً للتسلية، فالكل
يعمل، وقد وفر العلم المتطور أسباب رفاهية للجميع، ولا يعرفون الموت بل إن
بعض المتقدمين في السن يحسون بالحاجة إلى التلاشي؛ إذ إن طاقتهم للعمل
قد استنفدت. "الرواية ص42"

ويتعرف إلى التطور التكنولوجي للكواكب المحيطة بالكوكب،
كالقدرة على التقاط الأصوات البعيدة، وتحليلها، وفك رموزها "لم أضع في
حسابي أنكم على هذه الدرجة من التطور" "الرواية، ص25"

أما الحب فله مكان، فقد خُصص كوكب الحب للقاء العاشقين إلى أن
يصلوا إلى مرحلة الارتباط التام، ثم ينتقلان إلى الحياة العملية على
الكوكب، أما إذا كان العاشق كاذباً فإنه ينال لعنة كوكب الحب.
تمثل هذه الرواية اليوتوبيا المثالية، وتعني اليوتوبيا بالإغريقية المكان
الحسن. فالكوكب الشبيه بالأرض يشبه المدينة الفاضلة، كل شيء فيه
مثالي. ولأن الكاتب يبحث عن مستقبل أفضل لجأ إلى اليوتوبيا الخيالية
إسهاماً منه في تصور لمصير البشرية."

وبعد مدة شعر رائد الفضاء بميل عاطفي نحو مرافقته، واتفقا على الذهاب
إلى كوكب الحب الذي تحيط به الأسرار، وهناك تعرضا لاختبارات قاسية
للتأكد من حبهما، وتجاوزا اختباراتهما بنجاح، وعاشا في وسط شاعري،
كل شيء فيه بدائي، ويدافع قمر الحب عن طبيعته بشراسة لكن لاختلاف
طبيعة رائد الفضاء البشرية تسلطت عليه قوى شريرة سببت له كوابيس
مزعجة، وآلاماً كبيرة. وقد انتهت رحلتها بحملها، لكن الهيئة الاستشارية

ارتأت عودته إلى كوكبه لئلا يسبب خطراً على سكان الكوكب، فودعها بحرقه وهو ينتظر أن تزوره ابنته في كوكبه بعد أن غاب سنوات طويلة عنه بحكم المسافة بين الكواكب. لقد ظل له أمل "بطفلة مجهولة تأتي من رحم الغيب، تبحث عن أبيها في فضاء واسع، فسيح الأرجاء، يحفل بممالك وكائنات متطاحنة متصارعة في سبيل إثبات وجودها مؤمناً أن محصلة حروبها مهما طاللت هي انتصار الخير في الكون." "الرواية، ص152"

وإذا اتفقنا على أن أدب الخيال العلمي أدب الواقع، والرؤيا فكيف تجلت جدلية الواقع/ الحلم في رواية الخيال العلمي؟

6- جدلية الواقع/ الحلم في الرواية

لا يتمثل الهدف في دراسة جدلية الواقع/ الحلم في إسقاط الرؤيا على نص الرواية. فالرؤيا تتجم عن النص نفسه. ونصُّ الخيال العلمي نصُّ صنعه مبدع لديه أفق فكري معين، يتمكن بحلمه من ابتداء مجتمع حُلُمي يعبر عن مواقفه، وكأنه ينجم عنها.

وتغدو رحلة رائد الفضاء حالاً حُلُمية في كوكب يشبه كوكب الأرض، فشكّل هذه الحال الحُلُمية كما أراد على وفق رؤيا معينة، فمزج بين رؤية الواقع وحال الحلم.

"- ماذا تقول؟ أتحسب نفسك في كوكبك؟ لا كذب هنا ولا تهرب من مسؤولية، الجميع هنا مستعدون لمباركة هذين الحبيبين وكلُّ منهما يرجو أن يثمر حبهما.

- يعني؟

- أن يذهبا بعد مدة إلى قمر الحب ليكونا أسرة هذا شيء ضروري هنا" "الرواية، ص58"

ويشكّل بناء الرواية على حال حلمية لها أسس علمية حرية في تشكيل العالم الروائي، فقد تم تشكيل الشخصيات تشكيلاً فنياً بعيداً عن التشكيل الواقعي، فاستكمل نواقص الشخصيات الأرضية.

"- غريزة العدوان عندنا شبه معدومة إلا بين تلك الفئات الخاملة التي حدثت عنها" "الرواية، ص24"

"- الحزن عندنا يقابل الفشل.. حين تحاول القيام بعمل دون تهيئة خاصة والغرور ينتابك وتفشل فتصاب بالحزن لأنك لم تزن قوتك بشكل صحيح.."
"الرواية، ص29"

"- لا لهُ عندنا بالمعنى الحرفي للكلمة.. تمضية أوقات بلا فائدة ولا مسوغ..
الزمن ثمين جداً.. لم نضيعه بلا فائدة.." "الرواية، ص33"

لقد جمع الروائي بين الواقع والحلم بالرحلة الفضائية، وجعل كلا الطرفين يضيف شيئاً من خصائصه على الآخر، وهو أمر مرتبط بالرؤيا. فالواقع على الأرض حروب وشورور وآثام.. أما المكان الحلمى المفترض الذي يحمل البعد الرؤياوي فهو مكان لا وجود فيه للكذب، أو الفشل، أو التقاعس، مكان عادل يضمن لكل ذي حق حقه، ينال التطور العلمي الحصة الكبرى فيه، وينعم أبناؤه كلهم بالتطور والثروة.

لقد أعاد تشكيل الواقع بالرحلة الحلمية كما أراد له أن يكون، وامتلك حرية "جينيت، ج. 1966: 87"، يرى أن الرؤيا تخليق إبداعي للنص الأدبي، فالمهم في الحلم هو ما وراء الحلم. "فحرر سكان الكوكب الشبيه بالأرض مما يزعجه في سكان الأرض من نفاق وفساد علاقات اجتماعية وتواكل وظلم وفساد، فجمع بين الواقع وما تمناه للواقع، وعرض بمن يكنز الثروات ويظلم الشعوب، وأدان العلاقات الاجتماعية البالية، وجعل الكوكب

الشبيه بالأرض مكاناً بديلاً من الأرض، أو مكاناً يطمح إلى أن يصل سكان كوكب الأرض إلى مستواه أخلاقياً واجتماعياً وعلمياً وسياسياً.

"- كل مجتمعنا مبني على العمل والتطور.. قد نبني اليوم بنياناً دائرياً.. أسطوانياً، وغداً قد يصبح المكعب هو الشكل المحبب.. كل شيء يخضع للتطور والتغيير حتى القوانين." "الرواية، ص17"

فلم يشأ الروائي أن يقدم رواية تفسيرية، بل أراد أن يدفع الكتابة من الواقع إلى الحلم، والانطلاق إلى ما وراء الحلم، فارتفع بالواقع إلى الحلم/ الرؤيا، فثمة رؤيا أخلاقية مضمرة، والرؤيا تقرب حال الحلم/ الرحلة الفضائية من الواقع، والرحلة هي الحلم، وما وراءه تصور لواقع يطمح إليه، فتتجاوز الرؤيا النظام الاجتماعي لتتعمق في معنى الحياة، ودراما الخير والشر.

وقد مزج بين الرحلة إلى الكوكب الآخر وحلم من نوع آخر هو ما يمكن تسميته طيف الخيال أو حلة اليقظة. فقد أحب تلك المرأة حباً جمّاً، وعاشا مدة في قمر الحب، لكن القوة التي سيطرت عليه جعلته يفترق عنها، فيعوض غيابها بحال حلم:

"في طريق العودة الآن، أحلم بك، طيفك زادي، وذكريات معك، وأملني بلبقياك، ما يشجع في الرغبة في الحياة." "الرواية، ص150"

"لاح له طيفها يقطر وداعة وحناناً: أتستطيع نسياني؟" "الرواية، ص151-152"

فُرض عليه واقع مأسوي، فقد قرروا عودته إلى الأرض، فعوض عن اللقاء بحلم يقظة، وتراءى طيفها أمامه. فلأنه يقاسي كان حلم اليقظة، لقد كانت ملاذاً له من كوكب الأرض الذي فضل عليه الكوكب الجديد، لكن الفراق فرض عليه، ولا يبقى ثمة لقاء سوى في الحلم. فقد قاسى في الحياة، فعوض بحلم يقظة. ولهذه المرأة علاقة بالوضع السيء الذي رفضه في

الأرض، فهي سبيل نجاته، وبقائه على الكوكب الشبيه به، وهذا الطيف في الوقت نفسه سبب عودته متسلحاً بالأمل لكي يعمل على نشر المحبة والسلام على الأرض. إنه طيف نفسي، خيط يربطه بالحياة، وفي قوله: "أملتي ببقياك ما يشجع بي الرغبة في الحياة" تصميم على العودة الإيجابية إلى الأرض، وتأكيد البعد الرؤياوي. فالعودة لن تكون عادية، بل عودة تغيير. ويتعين على ذلك أن للطيف قيمة إبداعية، وإيديولوجية وإنسانية، فيه إحياء بواقع مأزوم، وتجلّ لرؤيا ثابتة.

ويعد الطيف وسيلة راحة للعاشق، لكن مدته الزمنية قصيرة، فسرعان ما يستقيم منه إفاقة موجعة. إنه محاولة من العاشق للتداوي، فقد أدرك أن حضورها شيء وحضور طيفها شيء آخر، أو أدرك أن حضورها في حياته حضور طيفي. فالحببية ذات طبيعة نورانية، تتخطف ذاته حين يراها، فجعل الأمل باللقاء سبباً في استمرار الحياة على الأرض، ووظف الطيف للتعبير عن الرؤيا الاجتماعية والسياسية. فالعلاقة بين الرؤيا والحلم علاقة جدلية، فلا توجد رؤيا من غير حلم، ولا حلم من غير رؤيا.

ونجد في حديثه ذي الطابع الحلمي توظيفاً للعجائبي، وللأمور الخارقة الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل عن النوع الأدبي الجديد في رواية الخيال العلمي.

7- الرؤيا / الحلم والنوع الأدبي

تعبّر الرؤيا عن الآمال، والأحلام، والآلام. وتكاد تكون الرؤيا في أدب الخيال العلمي واحدة. فهذا الأدب دعوة إلى السلام، والتسلح بالعلم، ونبذ العنف. "يا بنيّتي بالحب والتسامح والابتسامة يستطيع الخير أن يطرد قوى الشر.. ولولا الأنانية والحقد والطمع.. لما كان للشر وجود..". "الرواية، ص134"

"- توصلت مراكز الأبحاث في هذا الكوكب إلى حقائق علمية كان يبدو الوصول إليها من قبل أشبه بحلم وتعرفت معظم خصائص الجوهر الفرد، وتثوير جزيئاته، ودمجها مع جزيئات لجوهر فرد آخر".
خرج من المستطيل الزهري مقتنعاً أن لا مستحيل أمام العقل الذي يستطيع الوصول إلى حقائق علمية تبدو أشبه بحلم.. "الرواية، ص77"
لكن الرؤيا/الحلم في أدب الخيال العلمي تجعل منه نوعاً أدبياً مختلفاً. فما علاقة الرؤيا بالخيال القائم على العلم؟

4-1- الرؤيا والسرد في الرواية

إن الأفكار على علاقة بالأحلام في جانبها الرؤياوي، فيقدم الحلم حلاً لتساؤلات يصعب تقديمها من غيره. ففيه تنهوى الأقنعة، فلا مجال للتكرار للعيوب؛ فهي ليست رسائل خارجية، بل هي وليدة الأحوال التي يعيشها الرائي "بوريلي، أ. 1992: 84، يرى لودفج كلاج "Ludwig Klage" أن عالم الأحلام لا يقل واقعية عن عالم اليقظة، ولكنه واقعي بطريقة مختلفة. فالمنامات تزود باستبصارات أعمق بوظائف الفعل... فلا فرق بين ما تفعله وأنت نائم، وما تفعله حين لا تكون نائماً"

وإذا كنا قد اتفقنا على أن أدب الخيال العلمي أدب الرؤيا، وأن الرؤيا حال حلم وجدنا أن نص الرؤيا/ الحلم منفتح على الأنواع الأدبية. فيقف نص الرؤيا على الضفة الأخرى لنص الرؤية، ولا بد من تلازم الرؤية والرؤيا. فالرؤية ذات طابع واقعي، والرؤيا ذات طابع حلمي.

ويحمل أدب الخيال العلمي طابعاً درامياً تشويقياً، يمتزج فيه العجائبي بالغرائبي، ويقع الحلم بين الواقعي والمتخيل، وينفتح نص الحلم/ الرؤيا على

السياسي والاجتماعي والجمالي، ففيه خطاب سردي حكاوي، ويصبح الحلم نتاج معرفة، ويسير في سير خطي لا انكسار فيه.

يتجاوز -إذن- السرد في نص الحلم/ الرؤيا دلالاته المعهودة؛ ليعبر عن فهم أنطولوجي واسع، وفي السرد حرية كبيرة للتخفي والتتكر، لكن حين يُدمج الحلم في سياق علمي يتم التعامل معه بطريقة مختلفة، ويحدث تفاعل داخلي لعناصر النص، وتنشط الفاعليتان السردية والدلالية. فالحلم تمثيل سردي لوقائع تراود ذهن الراوي.

ولا يعني بناء رواية الخيال العلمي على نوع أدبي مختلف أنها تقترب من الخرافة، فالخيال العلمي يجمع الأدب العجائبي والعجيب والغرائبي إلى جانب النص العلمي في نسيج يشكل نوعاً أدبياً مختلفاً عن الأنواع الأدبية المعهودة.

وقد بنيت الرواية على حافز، ويقوم السرد أساساً على فكرة الحافز، فلم تكن هذه الجولة في الكوكب الشبيه بالأرض لولا الرغبة في الاكتشاف. لقد أراد الراوي - في البعد الرؤياوي - صنع عالم إبداعي يحتضن مفاهيم العلم والأخلاق لكن الفعل السردية يفترض أن ينسى القارئ هذا الحافز لحظة.

ويعمل السرد على الخطابات الأدبية وغير الأدبية، فتتجاوز الأنواع في السرد "يقطين، س. 1997: 184، يرى أن الجنس الأدبي ثابت، وأن التحول في الأنواع، والتغيير في الأنماط. ونرى أن التحول يكون في الخطاب الذي يشتمل على أنواع، فيتشكل خطاب نوعي" وتتمى الرحلة الحلمية إلى الماضي، فقد عاد رائد الفضاء، فتتشاكل الرواية مع الحكاية المنتمية إلى الماضي، لكنه يفارق دلالة الماضي بالرؤيا الاستباقية. فقد تداخل السرد

والحكاية في الخطاب ذي البعد الرؤياوي؛ ليرسم خيوط المستقبل تبعاً لحادثة حدثت في ماضي رائد الفضاء.

ویدفعنا خروج نص الخيال العلمي من حدود المألوف، ودخوله في الأمور الغريبة والمدهشة إلى التساؤل عن الخطابين العجائبي والغرائبي للذين بني عليهما.

4-2- الخيال العلمي والعجائبية والغرائبية

رواية الخيال العلمي عجائبية. وقد سبق أن الرواية نص حلمي ينضوي على رؤيا، فلا يتحقق البعد الرؤياوي إلا حين تتجاوز رواية الخيال العلمي عتبة الواقعية.

والعجائبي "Fantastique" نوع أدبي قائم في ذاته، يوظف الحكائي، والأسطوري، والرمزي بوعي قصدي بهدف إيجاد أفق توقع يكسر الثوابت في المعاني. "تودوروف، ت. 1994: 57، 44 يرى أن العجائبي هو التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية فيما يواجه حدثاً فوق طبيعي حسب الظاهر"

ونجد خطأ لدى النقاد بين العجيب "Merveilleuse" والعجائبي، ونجد أن الخطاب الغرائبي "Etrange" يحمل طاقة الخوف، وأن الخارق لا يمكن تفسيره في حين أن الغريب يقبل تفسيراً.

"تودوروف، ت. 1994: 60 ثمة فرق بين العجائبي والعجيب، يرى تودوروف أنه إذا قرر القارئ أنه ينبغي قبول قوانين جديدة للطبيعة يمكن أن تكون الطبيعة مفسّرة لها من خلالها دخلنا عنئذ في جنس العجيب. انظر مدخل إلى الأدب العجائبي، ص 57 وثمة خلط كبير لدى النقاد بين المصطلحين، فتقتضي العجائبية التردد، والحيرة، ولا تعني أن الشيء مستحيل الوقوع. أما الغرائبية فيرى تودوروف أن الغريب المحض في الآثار التي تنتمي إلى هذا

الجنس. ثمة سرد الأحداث يمكنها بالتمام أن تفسر قوانين العقل لكنها على هذا النحو أو على نحو آخر غير معقولة، خارقة، مفزعة، فريدة، مقلقة، غير مألوفة"

ويتعين على ما سبق أن رواية الخيال العلمي رواية عجائبية إلى أن يتمكن العلم من الإجابة عن تساؤلات تتعلق بالكون حينها تدخل في باب العجيب. إن من شأن الابتعاد عن المؤلف أن يوسع مساحة الرؤيا، فيبدي الخطاب العجائبي قدرة فكرية إبداعية في التعامل مع مشكلات الواقع، وحلولها، تحطم قوانين الواقع تحطيماً قصدياً لتعبر عن أزمة الأنساق فيه. " - النوم عندنا بالصفة التي تتصورها غير موجود، نحن ننام وعيوننا مفتوحة، نريح الذهن قليلاً..." "الرواية، ص65"

"ربما هي أول مرة يتعرض فيها عشاقه - قمر الحب - المشبعون بالجد لهذه التجارب المتعبة، حتماً يعود السبب إليه هذا الكائن الأرضي الذي هبط كوكبها ودخل قلبها، فانجرت بهيامها إلى الزواج به، والمجيء إلى قمر الحب، متذكراً قانون عالمها "الحب لا يولد مرتين" "الرواية، ص135"

يحمل النص الحلم قدرة تنبؤية "محسب، م.2012: 15 يرى أن ما يحمله أي نص حلمي من قدرة تنبؤية يجعله ينتمي إلى العجائبية والغرائبية. ونرى أن أي نص حلمي لا يقتصر على البعد التنبؤي، فقد يكون انكفائياً، وقد يكون موازياً للواقع، كما أن طبيعة الخطاب، والحدث، وتطوره أمور تجعله ينتمي إلى العجائبية." ويرتبط هنا بالبعد العجائبي. فالعجائبية تشكيل خاص للواقع، قريب من المتخيل. وتأتي أهمية العجائبي في تعرية الجوانب المظلمة في واقع كوكب الأرض. فسكان ذلك الكوكب لا ينامون إلا قليلاً، فليس لديهم وقت للتسلية، والحب هو الذي جعل المستحيل ممكناً، وقرب بينه وبين امرأة من كوكب مختلف. إنه حب صادق، مجرد من

الغايات، يفتقر إليه كثير من سكان الأرض. ومن هنا يأتي الحديث عن أهمية الرؤيا في الخطاب العجائبي؛ إذ يتم إخضاع ما فوق الطبيعي للعقل. فالعجائبية موجودة في أي نص حلمي، يحمل بعداً رؤيائياً.

وليست العجائبية هروباً من واقع الأرض، بل هي رؤيا بمنظار جديد. إنها سبر لأغوار الواقع بوسائل غير واقعية، وغير مألوفة. فالعجائبية انزياح عن قواعد العقل، وقوانين الطبيعة. وقد خلط الروائي بين العجائبية والغرائبية، فأنتج سرداً يحول المتلقي من متلق سلبي إلى فاعل حقيقي في النص.

لقد أضاف الروائي إلى الحلم المنام/ الكابوس. فيتجاوز المنام مع حال الحلم/ الرؤيا وطيف الخيال؛ ليكون النص وليد حال حلمية بامتياز، فقد عانى رائد الفضاء كابوساً مزعجاً بسبب سيطرة القوى الشريرة عليه؛ إذ حاول الملك وزبانيته أن يخضعوه لسيطرتهم؛ لينفذ أوامرهم بقطع رؤوس المحكومين بالإعدام، ومنهم حبيبته.

"دُفعتُ بهدوء لأركع من جديد أمام الملك حيث وضع عصاه المذهبة فوق كتفيّ على التوالي.. وأحضر العبيد درعاً وسيفاً بلا نصل، فهمت فيما بعد أنه سيف شعاعي يمكن إن أحسن استخدامه تفجير سفينة فضاء بكاملها.. كنت معرضاً لانعدام الجاذبية..

- اشهر سيفك أيها البطل.. ونفذ فيهم حكم الإعدام..

أضحك بتشف، وأضغط على زر القبضة في السيف، فاندفع لسان من الأشعة إلى مسافة مترين، وبدأ الحراس يدفعون السجناء واحداً فواحداً، وأنا أمس هذا مساً بالسيف فيتلاشى، وأهوي على رأس هذا فأشقه نصفين قبل أن يتلاشى، تجمدت نظراتي على وجهها، كانت مقيدة بالأغلال، عارية الصدر، كسيرة النظرات، رفعت رأسها نحوي حين وصلها الدور "يا حبيبتي أنت؟"

- نفذ أيها البطل.. تتالت نغمات الأوامر.. ألقى السيف من يدي، وأتجه نحوها، فأحس بصداع هائل، وأسمع قبل أن أغيب عن الوعي صوت الملك:
- لم تروضه الترويض الكافي بعد يا سفلة..
- لو قتلتها يا وغد زوجتك ابنتي، وكنت الأمر المطاع، ولكن رفضك سيجلب لك الويلات.. "الرواية، ص120 - 125"

يختصر هذا المنام مقولة الرواية، فثمة صراع بين الخير والشر، وثمة فعل مقاومة في مواجهة الشر، وثمة تضاد بين الحلم ببناء عالم يسوده السلام والخير، والكابوس. فهو هو الذي حرك مجرى أحداث الرواية. فقد تسلطت عليه القوى الشريرة، واضطر إلى ترك الكوكب والحببية الحامل حفاظاً على حياة سكانه. لقد غير الكابوس مجرى السرد، وبدا خيلاً مضخماً "فرويد، س. 1963: 55 يرى أن الحلم يحدد المستقبل، والكابوس خال من الدلالة على المستقبل؛ إذ تنحصر دلالاته في الماضي أو الحاضر" ويجب أن يحدث حدث مفاجئ يعيد رائد الفضاء إلى كوكب الأرض؛ لكي يحقق رؤيا الروائي، فلو بقي في الكوكب الشبيه بالأرض لما استطاع أن يوصل رؤياه المتعلقة بالأرض.

ولهذا الكابوس/ المنام خصوصية في الرواية. فقد عكس الزمن، فتنقية الزمن في الحلم/ الرؤيا تتجه نحو المستقبل، أما الكابوس فقد أوقف هذا الاتجاه، وحوله إلى الماضي، واعتمد على طريقة التداعي، فقد تداعت فيه ردود الفعل اللا واعية، والحالات النفسية التي يسميها فرويد العصاب "فرويد، س. 1982: 101، فليس لنا من سبيل إلى معرفة العمليات اللا واعية إلا في شروط الحلم والعصاب بأنواعه."

ويتعين على ما سبق أن رواية الخيال العلمي تؤسس لنوع أدبي جديد يقوم على تجاوز الخطابات المختلفة المتضادة. فثمة خطاب علمي يمثل القاعدة التي

بني السرد عليها، وثمة مادة علمية يوظفها الروائي في حبكة روائية، ويتأسس هذا الخطاب على لغة سردية غير شعرية، هي حكاية لأحداث، وأقوال تطفئ عليها الصفة العلمية التي ربما تثقل على القارئ العادي:

"- وما مهمة هذه المحطة؟

- التغفل في الجوهري، وتعرف خفايا الكون، تستطيع أن ترى المدار الذي يرسمه الإلكترون حول النواة كما تستطيع أن ترى كيف يتحرك الإلكترون و الذرة بكل أجزائها

- أتستطيعون مراقبة شخص ما في الكوكب الأصلي من هنا؟

- طبعاً نستطيع مراقبة شخص من كوكب بعيد عنا.. المحطة تتمتع بقدرة النفاذ داخل السحب والأغلفة الجوية، والتغفل إلى مسافات شاسعة..
"الرواية، ص 63"

ولا نجد هذا الخطاب إلا في رواية الخيال العلمي. وهو يمثل درجة الصفر في الكتابة، وأي خطاب آخر يمثل انحرافاً عنه. وهو في الوقت نفسه درجة الصفر من الخروج عن قضية العلاقة المختلفة والخاصة بين الراوي والمادة المروية، يحكي أحداثاً متسلسلة بلغة عادية سردية. والعلاقة بين المادة والراوي ظاهرة لا خفايا فيها.

ونجد الخطاب العجائبي المتسم بطاقة الإدهاش، وهو مبني على عدم تحققه واقعياً أو منطقياً، فقد سافر رائد الفضاء إلى عوالم عجائبية:

"- نحن نخلق فوق بحيرة خضراء أرى أمواجها تتحرك مضطربة من دون نظام.

- هي ليست أمواجاً وإنما حيوانات أبحاث مدجنة، هذه بحيرة فريدة تضم سلسلة الحيوانات البرمائية جميعها." "الرواية، ص 23"

ويناسب الخطاب العجائبي حال الحلم في رواية الخيال العلمي، ويمثل خروجاً عن إمكان التحقق واقعياً وانزياحاً عن درجة الصفر في الكتابة. أما الخطاب الغرائبي فيمثل خروجاً عن إمكان قابلية الحدث للتحقق لكن الراوي بقدرته الفنية، وبتقنية المنام/ الكابوس يجعلها قابلة للتحقق. "كابوس مخيف حط عليه، أحس بثقل يضغط على صدره، تبدت له وحوش خرافية، أشباح مخيفة قبل أن يصحو، وضربات قبله وصلت حدها الأعظم.." "الرواية، ص113"

ويعد الخطاب الغرائبي في الرواية محورياً، فقد كان البؤرة التي اجتمع السرد فيها، وتوتر، ثم غير مساره.

وباجتماع هذه الخطابات يتأسس نوع أدبي مختلف قائم على الجمع بين العلم والخيال باستخدام الحلم، والمنام، وطيف الخيال الأمر الذي يدعونا إلى التساؤل عن وظيفة الحلم/ الرؤيا في رواية الخيال العلمي.

8- وظيفة الحلم/ الرؤيا في الرواية

يقدم البعد الرؤيوي في حال حلم وظائف متعددة منها:

الوظيفة الاخلاقية: فالرحلة إلى كوكب وما حدث فيها نتيجة الرغبة في الاكتشاف، وعدم الرضا عن واقع الاكتشافات العلمية، كما أن ثمة جانباً أخلاقياً، فهو يعري مشكلات المجتمع البشري، ويحاول أن يقدم في البعد الرؤيوي البديل مما يقدمه على مستوى الرؤية. فالمرأة التي التقاها في الكوكب الشبيه بالأرض تستغرب كيف يصرف البشر أوقاتهم في التسلية:

"- لا لهو عندنا بالمعنى الحرفي للكلمة..

- ما تعريف اللهو في رأيك بالمعنى الحرفي للكلمة؟

- تمضية أوقات بلا فائدة ولا مبرر.. الزمن ثمين جداً.. لم نضيعه بلا فائدة؟

- وكيف تضيعون إذن وقتكم خارج العمل؟
- في التسلية بحل مسائل مفيدة، كان نحسب مثلاً مساحات الحدائق وأعداد أشجارها ونوعية هذه الأشجار...." "الرواية، ص33
- وتؤدي هذه الوظيفة إلى وظيفة أخرى هي الشعور بالاغتراب بسبب سلبات الواقع البشري: فالمرأة في المجتمع الجديد المكتشف عنصر فاعل، ولا توجد امرأة غير فاعلة:
- " وكيف لا تعمل المرأة؟
- بعض الناس لا يحب أن تعمل المرأة لتظل محافظة على أنوثتها ورشاقتها، لتظل دوماً غطاءً دافئاً لزوجها..
- أهذا هو مجتمع الأرض حالياً؟ " "الرواية، ص39
- وثمة وظيفة إمتاعية: ناجمة عن سرد العجائبي المترافق بالغرائبي الذي يثير اهتمام المتلقي، ويجعله مشاركاً في الحدث. فلا يرتاد قمر العشاق إلا العشاق الصادقون، يهيء لهم أسباب السعادة، قادر على أن يحمي نفسه وزواره؛ لأن الحب في قانون الكوكب لا يولد مرتين لكن العاشقين يتعرضان لتجارب تأخذ طابعاً غرائبياً تكشف مدى صدقهما.
- وثمة وظيفة سياسية اجتماعية تظهر في البعد الرؤياوي؛ لأن عالم الأرض حافل بالشروخ والحروب والاضطهاد، وتجسد الرحلة الفضائية حلم الروائي بمجتمع بديل. فقد تذكرت تلك المرأة وضع كوكبها منذ زمن بعيد قبل أن تنطلق ثورة في وجه الظلم، ويتحول مجتمعها إلى مجتمع مثالي:
- " ذكررتني بال مخلوقات الشريرة التي كانت تستعبد أهل كوكبنا..
- ماذا عنها؟
- كانت تعامل المرأة كملك المجتمعات عندكم، فقط للمتعة، حتى إن بعضهم كان يبيعها كأي سلعة.. المرأة في قوانيننا لها حقوق كاملة ولا فرق

بينها وبين الرجل فهي تقود محطات الفضاء، تترأس مراكز الأبحاث والمجلس الاستشاري.. حتى في تكوين الأسرة لها مركز الرجال نفسه تماماً.. "الرواية، ص40"

أما الجنين الذي زرع في أحشائها فستنشئه على لغة الأصالة والكفاح والحب:

"- هذا الجنين الذي ينبض في بطني سيكون السلوى والعزاء عن فقدانك، وسأعلمه لغة الأصالة والحب والكفاح في سبيل الخير والأمان في هذا الكون الفسيح الأرجاء.. ومن يدري قد يلتقيك يوماً ليحمل لك محبتي الأبدية وشوقي للقاء بك رغم استحالة.. "الرواية، ص144"

وثمة وظيفة تعليمية تعطي معلومات متخيلة عن التطور والحياة في كوكب آخر:

"- يبدو أن سطح الكوكب مسكون بكائنات عاقلة تستخدم طيوراً جارحة في تنقلها، ويبدو من الوهلة الأولى أن حضارة متطورة تستوطن هذا الكوكب.. كائنات كثيرة تنتشر في أمكنة غير ظاهرة للعيان تراقب المحطة.. "الرواية، ص8"

وتعد رواية الخيال العلمي المبنية على ركنين: ركن العلم، والركن العجائبي ميداناً خصباً لشعرية من نوع مختلف، فهي متعددة الأنساق، فكيف تجلت شعرية نص الرؤيا / الحلم في الرواية؟

9- شعرية خطاب الرؤيا / الحلم

تتعلق الشعرية بأدبية الأدب، ويستخدم الروائي لغة الاستعارات والتشبيهات والتضاد والإيحاء، كما يكثف صوراً، ويختار لحظات مدهشة. فلفته شعرية في مواضع حين تقوم على عوالم عجائبية تتسم بتعدد الدلالات، وتلغي

الحدود بين المراثيات وغير المراثيات، فتتجاوز الأضداد: الرؤية/ الرؤيا، الواقع/ الخيال...

وقد أسس أدب الخيال العلمي شعريته في خطاب الحلم/ الرؤيا على آلية الانزياح عن المألوف. فقد خرق الأعراف اللغوية المعهودة، فثمة لغة علمية طاغية تقترب من درجة الصفر في الكتابة، ترهق القارئ غير المختص، وثمة نزعة جمالية، ولعب لفظي. وهما ضدان يكسبان النص إيقاعاً يزخر بدرجة الشعرية. فثمة سرد شعري في مواضع، وسرد علمي في مواضع، وبينهما فجوة توتر توجد شعرية خاصة، فتارة يحكي نثراً، وتارة يسرد بلغة شعرية، ويظهر هذا التوتر في اللغة توتراً في الواقع، فتتضوي الرواية تحت نوع أدبي جديد يمزج العلم بالخيال الأدبي، وتزداد شعرية اللغة مع البعد العجائبي، وقد عمد إلى هذه التقنية لإظهار الصراع بين الخير/ الشر، العلم/ الجهل، ... وتعد شخصية رائد الفضاء شخصية عجائبية تحمل وعياً ورغبة في التغيير والاكتشاف. كما أن المكان عجائبي، فقد طغى وصف المكان على عناصر الرواية، فقدّم مدهشاً، يحمل المثل العليا التي يطمح إليها الراوي. إنه الكوكب الحلم، وقد شُبه بالأرض لأنه يريد أن تكون الأرض كذلك الكوكب، فهو مكان مضاد للمكان الأصل/ الأرض:

"تلك المدينة العلمية كانت مركز إدارة الكوكب برمته، بناها العلماء فوق أقرب توابعه إليه.. وظلت تنمو وتكبر حتى أصبحت مصدر البث والاستقبال لمعظم كواكب النجم المشع الذي يدور حوله ذلك الكوكب الشبيه بالأرض." "الرواية، ص12"

"كانا يطيران فوق مروج مثلثة الشكل حمر، وقربها مروج دائرية باللون نفسه.. وقد بدت خطوطها المحيطة سوداً عميقة.. وهناك أبنية بدت صغيرة

من هذا الارتفاع تلمع وتتوهج بنور ذاتي ينبعث من داخلها مع أن ضوء نجمة الكوكب المشعة يغمر كل المناطق.. "الرواية، ص31"

لا تقتيد هذه الرواية بالفصل بين ما هو طبيعي وغير طبيعي، بين الخارق والمألوف. إنها رواية علمية خيالية تقربها شعرية عجائبيتها من الواقعية؛ إذ إن العجائبية التصاق بمشكلات الواقع ومحاولة إيجاد حلول لها، لا هروب منه، فترتفع الرواية بالتعجيب إلى ذرى العجائبية التي يستحيل معها الواقع المألوف واقعاً جديداً منضوياً على المدهش والصادم والمثير والمخيف.

ويتعين على ذلك أن التضاد بين العلم والخيال تضاد شكلي؛ إذ يختلط العلمي بالخيالي، والعجائبي بالغرائبي، ويقدم في شكل درامي أساسه المبالغة.

10- خاتمة

- لم تقل وظيفة الحلم في أدب الخيال العلمي الدراسة الكافية. ونجد أن هذا الأدب يشتمل على ثنائية الرؤية/ الرؤيا، فهو نص متعدد الأنساق. ويمكن أن نسجل بناء على ما سبق النتائج الآتية:
- أدب الخيال العلمي أدب الرؤيا، والرؤيا تجربة مع المستقبل، تحمل فكراً مثالياً.
 - اجتماع العلم والخيال في أدب الخيال العلمي عامل قوة فيه؛ إذ يتكامل الجانب العلمي مع الجانب الأدبي، ولا يتضادان.
 - أدب الرؤيا أدب مفارق للواقع، فلا رؤيا من غير حال حلمية، ولا حال حلمية من غير رؤيا متماسكة.
 - يعني وجود الرؤيا وجود حرية في التعبير الأدبي، تحول المتلقي إلى متلق فاعل مشارك في الكشف عن هذا البعد، وتعد الرؤيا أوسع من الرؤية، وأعمق.

- بني الخيال العلمي على سردية التعجيب، وبها تجاوز الحدود التقليدية للبكة السردية، وقد أضفت العجائية بعداً تأويلياً رؤيواً، فهي تهدف إلى إيجاد نظام جديد لكوكب الأرض.
- امتدت العجائية إلى لغة النص وشخصياته وزمانه ومكانه، وصوّر الواقع انطلاقاً من الآخر.
- تعد رواية الخيال العلمي حال حلم وضعت؛ لكي توطد العلاقة بين الواقع والمأمول، ويعد الحلم ميداناً رحباً للحرية الأدبية مع أنه مبني على معطيات علمية.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، عبد الله، 1992. السردية العربية- بحث في الموروث الحكائي العربي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء.
- أدونيس، 2002. صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري، ط8، دار الساقي، بيروت
- إخوان الصفا، 2011. رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ط3، دار صادر، بيروت
- باشلار، غاستون، 1990. الخيال ونقد العلم، ط1، ترجمة عماد فوزي الشعيبي، دار طلاس، دمشق
- بدر، عبد المحسن طه، 1985. الرؤية والأداة، ط2، دار التوزيع للطباعة والنشر، بيروت
- برنس، جيرالد، 2003. معجم المصطلحات- المصطلح السردية، ط1، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة "328" القاهرة
- بورلي، الكسندر، 1992. أسرار النوم، ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة، عالم المعرفة، عدد 85
- تودوروف، 1994. مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة الصديق بو علام، دار شرقيات، القاهرة
- جبرا، جبرا إبراهيم، 1979. ينابيع الرؤيا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت
- جينيت، جيرار، 1966. خطاب الحكاية، ط1، ترجمة: محمد معتصم، القاهرة
- عساف، ساسين، 1991. دراسات تطبيقية في الفكر النقدي الأدبي محوراً الرؤية والرؤيا، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت
- عساف، عبد الله، 1996. الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا، ط1، دار دجلة، القامشلي
- عمران، طالب، 2004. في كوكب شبيه بالأرض، سلسلة الخيال العلمي، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق

- عياد، شكري، 1978. الرؤيا المقيدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة
- غاتينيو، جان، 1990. أدب الخيال العلمي، ط1، دار طلاس، دمشق.
- فرويد، سيغموند، 1963. تفسير الأحلام، كتاب الهلال، عدد137، مصر
- فرويد، سيغموند، 1982. الحلم وتأويله، ط4، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت
- محاسب، محيي الدين، 2012. الأحلام والسرد الروائي، مجلة الراوي، النادي الثقافي، جدة،
مج24
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، 1994. لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت
- يقطين، سعيد، 1997. الكلام والخبر، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء